مقدمة

فى الحياة كثير من النواحى يقسى أن تتآلف . لأن أضدادها تتجاوب بالطبيعة وان تنافرت مظاهرها فى الحياة العامة وفى تفكير بعض الناس الذين يعنون بهذه المظاهر . . ومن بين هذه النواحى : الجندية والأدب . . !!

فالجندية أساسها ـ فى رأى الناس ـ التجرد من العاطفة مع غلظة ورغبة فى سفك الدماء . . دون أى جزع أو تردد . والجندى مهما كانت مرتبته فى السلك العسكرى لا يكسب المعركة إلا عندما يعتل خصمه أو يجعله عاجزاً عن المقاومة دون أن تأخذه به رحمة أو هواده . . .

وصناعة الأدب قوامها الشعور بالإنسانية ، وأصحابها بحكم المشاعر العاطفية التى تملأ قلوبهم الكبيرة دقيقو الحس . . وهم مهما اشتدوا فى نقد أدواء المجتمع وعلله . يترفقون بالأفراد ولا ينسون اطلاقاً أنهم بشر ، ثم توجههم فى هذا كله قلوبهم التى تنزع وحدها إلى الخير والرحمة . .

فالجندية والأدب ـ على ما يرى الناس ـ صناعتان تبعد بينهما الشقة ، وتضرب بينهما المشاعر

ولكن إذا أوردنا هذا . . فمن أوجب الضروريات أيضا أن نقول بأن كل صناعة فى الحياة وليدة رغبة تتأصل فى النفس ، ودراسة تستند إلى

عوامل تعين على التوفيق فى الدرس ، والتمكن من ممارسة هذه الصناعة . سواء أكان الهدف منها الهواية أو اكتساب العيش

واذا تطلعنا إلى هذه السطور تكشفت لنا الحقيقة التى تثير السبيل لكى تدرك إسراف الناس فى التفرقة بين صناعة وأخرى ، أو - فى زعمهم - استحالة التآلف بين صناعة وصناعة . إذا شئت الوجه الأصح للحديث . . !

فليس اذن مدعاة للدهش إذا استطاع بعض الناس أن يجمع بين صناعتين ، أو أن يبرز فى فنين . . وليس هذا لأن له شخصيتين يتجاذبانه وانما لأن فى نفسه هواية الأمرين . ثم هو بعد هذا يمتلك المقدرة على الكفاح للنجاح فى الصناعتين

بيد أنه مهما تباينت الصناعات فى رأى الناس . . فهل من الصحيح أن بين صناعة الجندية وصناعة الأدب تنافراً ! ؟

فى الواقع لا .

والسيف كالقلم كلاهما بتار قاطع . . وكلاهما له اصدقاؤه البعيدة . وكل منهما يكمل الآخر ويقوى من ساعده . .

ولهذا ليس بدعاً أن نرقب على مدى حقبتنا الأيام الكثير من الجند الذين وطدوا أقدامهم فى النثر والنظم .

وإن كان البدع أن نقول ، بأن حياة الجند هى عدتهم للنجاح فى دولة الأدب والأدباء ، ووسيلتهم للتقدم فى دنيا النثر والقريض ! !

وعلة هذا فى رأينا أن حياة الجندية تضفى على نفوسهم مشاعر حساسة

لا صلة لها بما فى صناعتهم أصلا من عنف وقوة ، وما يظنه الناس فيها من دماء ودموع . .

والواقع أن الجندى ليس كما يصوره الناس - فى وقت خاص ولغرض خاص - بالثائر على المجتمع ، الكافر بجماله وروعته ، الناقم على هدوئه وسكينته . .

وليس الجندى كائنة ما كانت الأمة التى ينتسب اليها بحكم الاقامة أو المولد بالشوق الى اللهيب المتقد ، يمشى على جثث دامية ، ويستعذب رؤية الدم المسفوك ، ويطرب لصرخات الفزع والألم

فالجندى انسان قبل كل شىء ، وهو فى صناعته يدافع عن قضية عامة يؤمن بعدالتها ، ويعرف عن ثقة أن ما فى الحياة التى يحياها من دماء ودموع انما هو الوسيلة الوحيدة لكسب قضيته من جهة ، ثم للحصول على حق البقاء لنفسه . . الغريزة التى ولدت مع الانسان عندما تفتحت عيناه لإجتلاء أضواء العالم الذى نعيش فيه . . .

والحياة اذا كانت رخيصة فى نظر الجندى للفداء ، فهى غاليه فى نظر الجندى نفسه ينبغى ألا تباع بثمن بخس ، والجندى ينفق من عرقه وصحته ما ينفقه كل فرد ، وهو اذا نسى نفسه فى حومة القتال فتجرد من مشاعره ، فانه يذكر كل حس وكل عاطفة . . عند ما تسكن الحركة فى ميدان النضال .

والقتال - على ما فيه من روعة - بغيض اكل نفس . فالأصل فى الحياة البقاء لا الفناء . والقصد من التنافس تحسين الانتاج لا التماسك بالأيدى . بيد أن سنة الحياة مع دورات الفلك أن يختلف الناس على أى شىء وعلى

كل شيء فيتقاتلوا ، والا لكانوا أمة واحدة ، وما كان هذا على الله بكثير . .

ولكن حياة القتال مع ما فيها من مخاوف أخاذة ، وفي الأرض الموحشة عندما تكون الأرواح فوق الأكف تضيع مع كل لفحة من لفحات الهواء أخيلة توحي بالكثير من المعاني . .

والقصيدة المريرة في هذه الحياة لها بدورها أصداء تتجاوب في هذه النفوس المرهفة الحس ، العنيفة المظهر . وللوحدة القاسية مع الصراع بين الأمل والرجاء ، والمخاوف والفناء ، وحيها الذي تنقله النفس الى غيرها من النفوس الآمنة ، ثم بعد هذا كله لهذه وتلك . . دوافعها التي ترغم الفرد على أن يكون ترجماناً لغيره ممن يشعرون بحسه .

وهنا تكمن المؤثرات التي توجد الجنود الأدباء والشعراء . .

بل من هنا كانت هذه الصور كلها هي التي تعبد الطريق لرجال الجندية للنجاح في دولة الأدب . ثم هي بعد ذلك التي تجعلهم أميل الى الواقع ، فهم لا يسرفون في الألفاظ اللهم الا في بعض نواحي القصيد عند وصف مثار النقع تحت ظلال السيوف . . وهذا وحده يقربهم الى نفوس القراء وقلوبهم